الفصل الثاني

الفصل الثاني

النظريات المفسرة للعنف

أن العنف ظاهرة لها جذورها وأبعادها في عمق المجتمع ونظمه الاجتماعية، كما أن نسبة قوته وحدته وتعدد أساليبه تختلف باختلاف المجتمعات وتباين نظمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية داخل المجتمع، وكذلك تتأثر بمدى تلبية الاحتياجات الاجتماعية والنفسية للطفل سواء في المنزل أو المدرسة والحي أو الأقران (الزغير، ٢٠٠٣: ١٦٩)[1].

والعنف كما يرى جابر وكفافي (١٩٩٦: ٤١٣٨)[2] بأنه: "تعبير عن العدائية والغضب الشديد عن طريق القوة الجسمية الموجهة نحو الأشخاص والممتلكات، والعنف عدوان في أكثر صورة تطرفا وأكثرها رفضا، ويعتقد معظم الباحثين أنه ليس له مسوغ علاجي طالما أن ثمة طرقا أكثر بنائية وإنسانية في التعبير عند الغضب، وقد يمكن تبريره اجتماعيا على أي حال في الحروب الدفاعية وفي محاربة التطرف".

وترى حلمي (١٩٩٩: ٩)[3] أن العنف مستويات مختلفة تبدأ بالعنف اللفظي الذي يتمثل في السب – التوبيخ، العنف البدني، ويتمثل في الضرب – المشاجرة – التعدي على الآخرين، وأخيراً العنف التنفيذي، ويتمثل في التفكير في القتل – التعدي على الآخرين أو ممتلكاتهم بالقوة.

وفي ضوء ما سبق ، تبين تعدد تعريفات وتفسيرات العنف ويعزي هذا إلى

---

(1) الزغير، محمد عبده (٢٠٠٣). **عنف الأطفال "الأبعاد الاجتماعية لظاهرة العنف لدى الأطفال في المجتمع اليمني" دراسة ميدانية للأطفال تلاميذ الحلقة الثانية من مرحلة التعلم الأساسي بمدينتي صنعاء وعدن**. صنعاء: مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) جابر، جابر عبد الحميد، كفافي، علاء الدين (١٩٩٦). **معجم علم النفس والطب النفسي**، الجزء السابع، القاهرة: دار النهضة العربية.

(3) حلمي، إجلال إسماعيل (١٩٩٩). **العنف الأسري**. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

تعدد الاتجاهات النظرية المختلفة التي تناولت العنف. وعند الرجوع إلى الأدبيات النظرية في مجال العنف تبين أن هناك عدة اتجاهات حاولت دراسة هذه الظاهرة وتحليلها وفهمها من أجل معرفتها والتصدي لها ومواجهتها. وقد تم حصر أبرز هذه الاتجاهات فيما يلي: الاتجاه النفسي، الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه البيولوجي، الاتجاه التكاملي؛ ومن خلال تحليل هذه الاتجاهات تبين أنها تتكامل مع بعضها البعض. وفيما يلي عرض لهذه الاتجاهات النظرية:

أولاً: الاتجاه النفسي:

تعد نظرية التحليل النفسي ونظرية الإحباط – العدوان، ونظرية السمات من أهم النظريات المفسرة لظاهرة العنف.

أ- نظرية التحليل النفسي:

تعزو نظرية التحليل النفسي الجنوح إلى ما يصيب تكوين الشخصية من خطأ في مرحلة الطفولة المبكرة قبل أن يقوى الطفل على مغادرة البيت ذاته وقبل بلوغه مرحلة المراهقة وتطلعه إلى الاستقلال الذاتي من الأسرة، حيث نجد أنه خلال العامين أو الأعوام الثلاثة الأولى من الحياة يكون الطفل "جانحا" وذلك لأنه يتصرف وفق أهوائه هو دونما إدراك أو اكتراث لأي رادع، فالطفل يأخذ ما يريده حالاً وبصورة مباشرة ومن غير وازع، وهو يتلذذ من سلوكه الذي قد لا يرضينا في معظم الأحيان.

لذا فقد أكدت مدارس التحليل النفسي على وجوب التأديب والترويض الذاتي، فلا التدليل المفرط يأخذ الطفل إلى بلوغ أهدافه في الحياة، ولا القسوة أو الإهمال يؤديان به إلى معرفة الخطأ من الصواب. ولعل في قول أصحاب نظريات التحليل النفسي بأن الجنوح إنما هو امتداد تدريجي يصاحب الطفولة من مراحلها المتفاوتة، هو قول لا يخلو من روح الواقع وينطبق تمام الانطباق على ما أسفرت عنه الدراسات الخاصة بالجنوح[1].

ويشير أريكسون في نمو الهوية السلبية لدى المراهقين، أن كثيرا من

---

(1) الجسماني، عبد العلي (١٩٩٤). **سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية**. بيروت: الدار العربية للعلوم، ص ص ٢٧٧-٢٧٨.

المراهقين المتأخرين يواجهون انتشاراً مستمرا في الهوية فيما يخص بقدراتهم الخاصة ومكانهم المنتظر داخل مجتمعهم.

وسؤال هذه المرحلة "من سأكون؟ يستمر قائما والفرد قادر على حل ورطته بأن ينحرف، وبذلك يكون قد اختار الهوية المضادة لتلك التي يقترحها المجتمع، وذلك مفضلا على أن يظل معدم الهوية"[1].

العنف من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي:

ينشأ العنف نتيجة الصراع بين الإنسان ونفسه ومعطيات العالم المحسوس الذي يعيش بين جوانبه، عندما تدفعه رغباته لكي يحقق أمراً معيناً ويصطدم بعائق فإنه يقع نهبا للصراع النفسي إذا تعرض لمجموعة من القوى المتساوية تدفعه في اتجاهات متعددة فيصاب بالتشتت والتوتر والصراع الذي ينتج عنه سلوك العنف[2].

وتؤكد تلك المدرسة على أن الإنسان الذي يريد لنفسه أن يتجنب الصراع والتوتر عليه أن يشبع دوافعه البيولوجية دون أن يتأثر بما قد يصلح عليه المجتمع من قيم وتقاليد وعادات قد تصطدم مع هذه الحفزات البيولوجية، ويشكل هذا الاتجاه النفسي صورة الصراع النفسي على أنها حرب ضروس تشنها أجهزة الشخصية، تلك الأجهزة التي صورها أصحاب مدرسة التحليل النفسي على الوجه التالي[3]:

---

(1) ماير، هنري. و (١٩٩٢). **ثلاث نظريات في نمو الطفل** (ترجمة: هدى قناوي). القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص ٦٥.

(2) صبحي، سيد وآخرون (١٩٩٨). **الحاجات النفسية والاجتماعية وضرورة إشباعها**، المجلد الثاني، القاهرة: شركة سفير، ص ٣٤٤.

(3) صبحي، سيد (١٩٨٤). **دراسات في الصحة النفسية**، الطبعة الثانية، القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة، ص ٥٣.

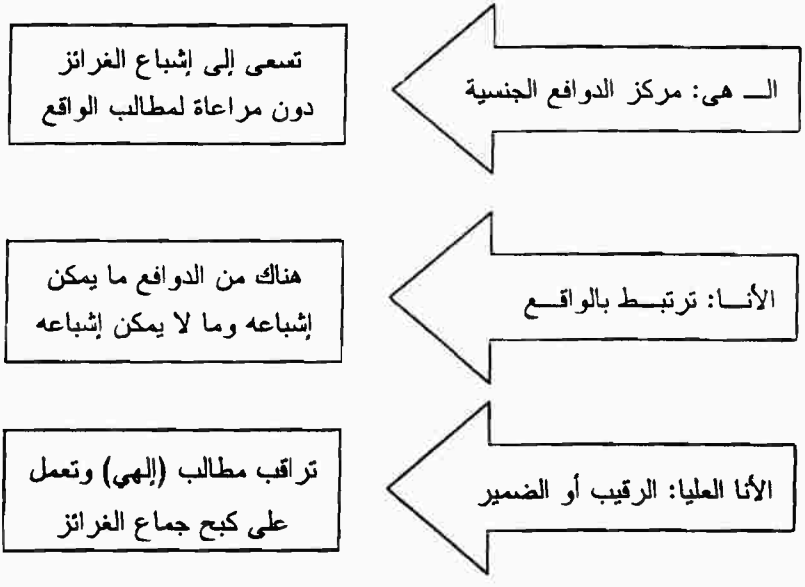

شكل (١)

العنف من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي

وللتفسير التحليلي المستمد من مدرسة التحليل النفسي أهمية كبيرة ذلـــك لأن معظم المنحرفين عن الطريق السوي في حاجة إلى المعالجة النفسية أكثر من إنزال العقاب بهم ويلزم معرفة دوافعهم الحقيقية وراء العنف، ولقد دارت إحدى الدراسات عن وجود (٩١%) من الأطفال الجانحين كانوا مصـــابين بـــبعض الاضـــطرابات الانفعالية من ذلك الشعور بعدم الأمان في العلاقات العاطفية والشـــعور بالتهديـــد، واضطرابات نفسية متعلقة بنظام الأسرة في تأديب الطفل وشعور قـــوي بـــالنقص والشعور بالغيرة والمنافسة والصراعات النفسية الداخلية القوية والشعور بالذنب على المستوى اللاشعوري والحاجة إلى العقاب حين يرغب الإنسان في عقاب ذاته، أمـــا

المجموعة السوية الضابطة فلم تظهر مثل هذه الاضطرابات إلا في (١٣%) من مجموعهم والذين أظهروا الشعور بالضغط الداخلي[١].

وتركز نظرية التحليل النفسي على حافزين فطريين؛ هما: حافز الجنس، وحافز العدوان. ويلعب الحافز الأول من وجهة نظرها دورا خطيرا في تحديد سلوك الفرد واتجاهاته في مختلف أدوار حياته، وهو ملازم له للمحافظة على ذاته وتأكيد وجوده. ويعد العدوان حافز فطري يتصل بالحوافز البيولوجية، ووظيفته المحافظة وإشباع حاجاته، ويظهر العدوان حيث تبقى الحاجات بلا إشباع نتيجة كبتها أو صدها (Boulter, 2004: 34)[٢].

وقد اعتبر فرويد Freud أن عدوان الإنسان على نفسه أو على غيره تصريفا طبيعيا لطاقة العدوان الداخلية التي تستثيره وتلح في طلب الإشباع ولا تهدأ إلا إذا اعتدى على غيره بالضرب. والإيذاء والقتل – أو اعتدى على نفسه بالتحقير والإهانة والإيذاء والانتحار (سليمان، وشند، ١٩٩٦: ٢٤٨)[٣].

ب- نظرية الإحباط – العدوان:

أن الدافع للاعتداء حافز نفسي أشبه بالدوافع النفسية مثل الجوع، فالجوع يسببه الحرمان من الطعام، والعدوان يسببه الإحباط، ودافع الجوع يحث على البحث عن الطعام ودافع العدوان يحث على محاولة الإصابة، بل أن الدافع للاعتداء ليس

---

(1) العيسوي، عبد الرحمن وآخرون (١٩٩٨). **العوامل الاجتماعية والنفسية في الجريمة والجنوح والانحراف** "المؤتمر السنوي للجمعية المصرية للطب والقانون العشوائيات"، المنعقد في الفترة ما بين ٢٤-٢٦ مارس، الإسكندرية: دار النشر الثقافية، ص ص ١٧١-١٧٢.

(2) Boulter, L. (2004). Family-school connection and school violence. **Education Review**, 55(1), January.

(3) سليمان، عبد الرحمن سيد، وشند، سميرة محمد (١٩٩٦). السلوك العدواني لدى الأطفال ساكني المقابر والأحياء الشعبية والمناطق الراقية. القاهرة: **مجلة كلية التربية**، جامعة عين شمس، الجزء الثالث.

دائما ينتج عنه سلوك عدواني، فالعدوان يمكن منعه بالخوف من العقاب، أو عجز الحصول على مصادر الإحباط (Brehm and Kassin, 1993: 357)[1].

وترى كل من بورجوتا وبورجوتا (Borgotta and Borgotta, 1992: 34)[2] أن نظرية العدوان – الإحباط، يمكن أن ترى كجسر مفهومي ممتد بين التحليل النفسي والرؤية الغريزية للعدوان، وظهرت فيما بعد الرؤية السلوكية لتربط بين العدوان والإحباط وتشكل بواسطة افتراض دولارد وآخرون Dollard, *et al.* (١٩٣١)، حيث افترض أن ظهور السلوك العدواني يستلزم دائماً وجود الإحباط، وبالعكس وجود الإحباط يقود لبعض أشكال العدوان، وعرف دولارد وآخرون Dollar, *et al.* الإحباط على أنه الإزاحة مع ظهور هدف تثير استجابة في وقت خاص في سلوك متتابع، وعرف العدوان كنتيجة سلوكية واستجابة تهدف إلى شخص مباشرة.

ويذكر حسن وشند (٢٠٠٠: ٩٩)[3] أن دولارد، ميلر، سيرز أكدوا على أن العدوان أمر ناجم عن الإحباط بمعنى أن الإحباط يؤدي إلى وجود دافع للعدوان، وهذا يقود إلى سلوك عدواني مباشر، كما يرى أنصار هذه النظرية أن الإحباط يولد طاقات في النفس من الضروري أن تخفف أو تصرف بأسلوب ما حتى يشعر الفرد بالراحة فيها، ومن أساليب التخفيف أو الاستهلاك لهذه الطاقة السلوك العدواني.

ولا يعني هذا أن الإحباط لا يؤدي إلى العدوان، ولكنه يحتاج إلى بعض الظروف، ولذلك تم تعديل نظرية دولارد إلى أنه تحت ظروف معينة تزداد احتمالية السلوك العدواني الناتج عن الإحباط، فالسياق الاجتماعي للموقف يعد مسئولا عن

---

(1) Brehm, S. and Kassin, S. (1993). **Social psychology.** New York: Houghton Mifflin Company.

(2) Borgotta, E. and Borgotta, M. (1992). **Encyclopedia of Sociology.** Vol. (1). New York: Philip Friedman Pubisher.

(3) حسن، محمد بيومي ، شند، سميرة محمد (٢٠٠٠). **دراسات معاصرة في سيكولوجية الطفولة والمراهقة.** القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

الاستجابات التي يمكن أن نصفها بأنها عدوانية، وأضاف "بيركويتز" أن السلوك العدواني يمكن تعلمه واكتسابه (علي، ١٩٩٥: ٢٨٨-٢٨٩)[١].

كما تبين أن الأطفال الذين لديهم اهتمام بالتوجيه المعرفي قبل البرنامج المدرسي أكثر عدوانية خلال أول سنة لهم في المدرسة من أقرانهم الذين لديهم اهتمام بنظام مراكز الرعاية اليومية، وفسرها هاسكينس Haeskins هذا الاكتشاف على أنه انعكاس للمعاناة من الإحباط بواسطة مجموعة البرامج المعرفية في إيجاد أنفسهم يواجهون بأقران كثيرين بارعين وأقران أقل اهتماماً لمعلميهم (Durkin, 1995: 402)[٢].

ويذكر عكاشة (١٩٨٢: ١٩٠)[٣] أن هذه النظرية تنبع من افتراض إحباط عنف، فهي تؤكد أن الإحباط إن لم يؤدي في معظم الظروف إلى عنف فعلي الأقل كل عنف يسبقه موقفا إحباطيا، وقد تكونت هذه النظرية من دراسات عن تطور الطفل أثناء نموه النفسي والعاطفي، وأن السلوك العدواني والتحطيم يعقب إحساس الطفل بأنه لا يستطيع أن ينال ما يريده، ويظهر الإحباط عندما يحدث ما يؤخر أو يوقف أو يعطل أو يتحكم في إشباع رغباته. وهذا يبدأ في تفاعله العدواني ويحطم ما يراه أمامه لدرجة أنه إذا وجد دابته أو بندقيته أو عروسته لا تطيعه فلا يتردد في تحطيمها، وعلى هذا ستعتمد درجة تحمل الفرد للإحباط بعد نضوجه، وتفاعله على الطريقة العنيفة التي مارسها في طفولته، وعلى درجة التحكم والضبط والمرونة التي اكتسبها من البيئة.

ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك يوضح تلك الفكرة، فالطفل عندما يمنع من إشباع غرائزه بالشكل الذي تهيئوه له مرحلته التطورية، فإنه يشعر بقدر من الإحباط

---

(1) علي، سامي عبد القومي (١٩٩٥). **علم النفس الفسيولوجي**، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

(2) Durkin, K, (1995). **Development social psychology from infancy to old age.** Oxford: Blackwell Publishers.

(3) عكاشة، أحمد (١٩٨٢). **علم النفس الفسيولوجي**، الطبعة السادسة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

فيندفع نحو مصدر الإحباط للاعتداء عليه (الأحمدي، ١٩٩٨: ١٣١)[١].

كما اعترف ميلر Miller (١٩٤١) في تعديله للفروض الأصيلة للإحباط – العدوان بقوله "أن العديد من الاستجابات للإحباط في الأسلوب العدواني يمكن أن تتعلم عندما يجد الناس أنفسهم غير قادرين على الوصول إلى أهدافهم ورغباتهم (Berkowitz, 1993: 46)[٢].

وقد استخدم علماء الاجتماع هذه النظرية لتفسير سلوك العنف في ظل أن الإحباط الذي يؤدي إلى العنف ينبثق عن عدم تكافؤ الفرص واللامساواة، والظلم وعدم توفر العدالة في المجتمع. لذلك تتضمن الإحصاءات الرسمية معدلات مرتفعة من العنف داخل الأحياء المتخلفة في المدن والمناطق الحضرية والعشوائيات. إن العدوان والعنف ردود أفعال لإحباطات يتعرض لها الفرد وتعوقه عن تحقيق أهدافه، ولذلك "كلما كان الناس أكثر إحباطا كلما كانوا أكثر عنفا وعدوانية".

وفي ضوء هذه النظرية، يتم تفسير العنف على أساس أن الفقر وفقدان الفرصة يعرضان المقيمين في هذه المناطق للإحباط، فهم يريدون الحصول على جميع الأشياء المادية، ولكنهم غير قادرين على الحصول عليها بطريقة مشروعة. ونتيجة لما يتعرضون له من إحباط يندفعون إلى سلوك العنف، ومن ثم يؤكد أنصار هذه النظرية على الحرمان المادي كسبب السلوك العنيف ويرى بعض الباحثين أن الأشخاص الذين يتصرفون بعنف لا تكون اتجاهاتهم بالضرورة إيجابية نحو العنف، بل يتصرفون بعنف بسبب الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها.

ج- نظرية السمات:

تذكر خفاجي (١٩٩٠: ٣٥)[٣] أنه بالنسبة لأي سمة من سمات الشخصية

---

(1) الأحمدي، يحيى (١٩٩٨). **المدخل إلى العلوم النفسية**، القاهرة: الأحمدي للطباعة.

(2) Berkowitz, L. (1993). **Aggression: Its Couses, Consequences and Control**. New York: McGraw-Hill Company.

(3) خفاجي، فاطمة أحمد (١٩٩٠). **في الصحة النفسية: المرونة والتصلب للعاملات ولغير العاملات**. الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.

يمكننا أن نضع لكل فرد نقطة معينة على امتداد، أو تدرج متصل ، يمثل هذه السمة، ويمتد بين قطبين أحدهما يمثل أعلى قدر ممكن من هذه السمة، والأخر يمثل أقل قدر منها، والتطرف هو أحد هذه السمات التي يمكن أن يوصف بها سلوك الأفراد وتظهر عليها الفروق بينهم، وقد أجريت عدد من البحوث على الاستجابة، وقد اتضح من خلال هذه البحوث أن الشخصية العدوانية تتميز بتطرف في الاستجابة.

ويرى جلال (١٩٨٥: ٦٩٩)[١] إمكانية قياس السمات بالحقيقة التالية: أن الأفراد يختلفون فيما بينهم في العادة الواحدة، فكلنا نغضب في مواقف معينة غير أننا نختلف في درجة الغضب وفي طريقتنا في التعبير عنه، كما أننا جميعا نستجيب إلى المشكلات المختلفة بدرجات متفاوتة، فإن السمات ما هي إلا عادات للفرد يمكن استثارتها في مواقف مختلفة.

والسمات الشخصية أكثر من كونها وجود أسمى فقط، فالسمات ليست أسطورة لأنها حقيقة واقعية وجزء حيوي في وجود الفرد، فكل شخص يمتلك هذه السمات، وهي اتجاهات انفعالية. وقد قام الاختصاصيون في علم النفس بالعمل من أجل اكتشاف كل هذه السمات على حدة. ويمكن أن تعرف السمات بصورة أفضل كأشياء، مثل: الخوف من الرأسمالية Fear of Cpitalirsrm – الانطوائية Introversion – الانبساطية Extraversion – العدوانية Aggressveness – التواضع Meekness – الصدق Honesty – الخيانة Dishonesty؛ بالإضافة إلى السمات الأخرى (Hjelle, and Ziegler, 1981: 2891)[٢].

ويذكر إنجلر (Engler, 1985: 268)[٣] أن السلوك الاجتماعي يعتمد بدرجة

---

(1) جلال، سعد (١٩٨٥). **المرجع في علم النفس**، القاهرة: دار الفكر العربي.

(2) Hjelle, L. and Ziegler, D. (1981). **Personality theories: Basic Assumption, Research, and Application,** Second Edition. New York: McGraw-Hill Company.

(3) Engler, B. (1985). **Personality theories,** Second Edition New York: Houghton Mifflin Company.

كبيرة على الظروف الجيدة لنمو الضمير في الطفولة، والانبساطين أكثر احتمالا في نمو الاضطرابات السيكوباتية فيهم. وهكذا أصبحوا عصابين بسبب القشرة المخية، والحالة الانفعالية التي تتداخل مع تعلم الاستجابة المناسبة أو سهولة تعلم الأفراد سوء التكيف، وباختصار فإن إيزنك يفترض وجود اتصال عرضي بين الوظائف البيولوجية في العقل وأبعاد الشخصية للثبات الانفعالي.

ويرى جابر (١٩٨٦: ٣٣٣)[1] أن الشخصية الانبساطية، تميل للعدوان وتنفعل بسرعة، ويمكن القول بصفة عامة أنه لا يسيطر على انفعالاته بدقة، ولا يعتمد عليها أحياناً.

ويرى عبد الله (د.ت: ٥٩-٦٠)[2] أن الانبساطي النموذجي، هو الشخص الذي يميل إلى العدوانية، ويفقد أعصابه بسرعة، وعلى العموم فإنه لا يتحكم في مشاعره. كما يرى عوض (١٩٨٦: ٣٥٩)[3] أن الشخص الانبساطي يجاري تقاليد المجتمع، ميال للتعبير، تستثار انفعالاته بسهولة دون عمق، كذلك يميل للسيطرة وتجريبي ومادي، وهو إذا أصيب بالانهيار العصبي، فإنه يكون أكثر تهيئا للهستيريا. وقد دلت الدراسات بالفعل على أن حب الاجتماع بالناس وسرعة الاهتياج سمتان على جانب كبير من الثبات عند الصغار والكبار جميعا (راجح، ١٩٦٣: ٤٧٤)[4].

كما أن هناك سمات أكثر تعقيدا ، مثل: القيادة – الأمانة – المثابرة –

---

(1) جابر، جابر عبد الحميد (١٩٨٦). **نظريات الشخصية: البناء – الديناميات – النمو – طرق البحث والتقويم**. القاهرة: دار النهضة العربية.

(2) عبد الله، معتز سيد (د.ت). **الشخصية الانبساطية**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

(3) عوض، عباس محمود (١٩٨٦). **في علم النفس الاجتماعي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(4) راجح، أحمد عزت (١٩٦٣). **أصول علم النفس**، الطبعة الخامسة، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

العدوان؛ فالسلوك الذي يفسره شخص ما بأنه سلوك عدواني، قد يسميه البعض مخاطرة ويطلق عليه آخر استعراض (المليجي، ١٩٨٣: ٣٦٣)[١].

وكذلك من بين تصنيفات السمات تقسيمها إلى سمات مصدرية أو أساسية وسمات ظاهرية أو سطحية، وهو التصنيف الذي وضعه ريموند كاتل والذي انتهى كاتل بمساعدة منهج التحليل العاملي إلى عزل ستة عشر عاملا أساسياً في الشخصية، ووصفها على أنها السمات الأساسية للشخصية وهذه العوامل ثنائية القطب. ومن بين هذه العوامل: السيطرة – حب السيادة – العدوانية – الخشونة – حب التنافس – الزعامة (عبد الخالق، د.ت: ١٧١-١٧٥)[٢].

كما أن كل لغة تحتوي على عدد كبير من الكلمات التي تحدد سمات للشخصية، فقد يوصف الشخص بأنه: خجول – عدواني – خاضع – كسول إلى غير ذلك، فالسمات قد تشير إلى تعبيرات ظاهرة أو سطحية كالعدوانية، أو إلى صفات أعمق، أو أكثر استدلالية كالاعتقادات (لازاروس، ١٩٨٩: ٥٥-٥٦)[٣].

بالإضافة إلى السمات الاجتماعية، وفي هذا الصدد يتساءل العيسوي (١٩٩٩)[٤] عن السمات الاجتماعية للمجرم بقوله: ما السمات الاجتماعية والنفسية للمجرمين؟ وما ظروفهم الأسرية؟ وأماكن إقامتهم؟ ويجيب على هذه الأسئلة بقوله: يتم تحديد هذه السمات وتلك الخصائص عن طريق مقارنة مرتكبي الجرائم بغيرهم من أبناء المجتمع. وتدل بعض الدراسات على وجود نسبة أكبر بين المجرمين من

---

(1) المليجي، حلمي (١٩٨٣). **علم النفس المعاصر**، الطبعة الخامسة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(2) عبد الخالق، أحمد (د.ت). **الأبعاد الأساسية للشخصية**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(3) لازاروس، ريتشارد (١٩٨٩). **الشخصية** (ترجمة: سيد محمد غنيم). القاهرة: دار الشروق.

(4) العيسوى، عبد الرحمن (١٩٩٩). **في الإرشاد والعلاج النفسي**. بيروت: دار الراتب الجامعية.

بين الأميين Illiteracy في وسط الجماعات الإجرامية، ونسبة أكبر من حالات الطلاق Divorce بين الآباء، كذلك دلت دراسات كثيرة على ارتباط الجريمة بالخلافات الأسرية Broken-homes، وكذلك وجد أن نسبة المجرمين تزيد بين أرباب العصاب النفسي كالقلق والاكتئاب والهستيريا والوسواس القهري والفوبيا وتوهم المرض والسيكوباثيين Psychopathics، وهم فئة من قليلي الشعور الخلقي.

ثانياً: الاتجاه الاجتماعي:

يركز هذا الاتجاه على السياق النفسي والاجتماعي للإنسان والظروف والمتغيرات التي أدت إلى استخدامه للعنف والعدوان للتعبير عن شخصيته للتصدي للفروق الطبقية بالغة الحدة التي تعوق عن تحقيق الهدف، فهو يتعدى بالتخريب. والتدمير على نواتج هذه الظروف كما تتبدى له مظاهر كثيرة في محيطه الاجتماعي(١).

ويمكن استعراض عدة نظريات في هذا الاتجاه مثل: نظرية الضبط الاجتماعي، ونظرية الثقافة الفرعية، ونظرية التعلم الاجتماعي، ونظرية التفكك الاجتماعي والجريمة، ونظرية البيئة، والنظرية الطبيعية، والنظرية الاقتصادية في تفسير الجريمة، وفيما يلي توضيح ذلك:

[١] نظرية الضبط الاجتماعي:

تصور هذه النظرية – التي استخدمها بعض علماء الاجتماع – العنف على أنه غريزة داخلية في الإنسان يتم التعبير عنها عندما يفشل المجتمع في وضع قيود وضوابط محكمة على أفراده. ولذلك فإن خط الدفاع الأولى لحماية المجتمع هو معايير الجماعة التي لا تشجع العنف مثل: الأسرة، والأقران، والمجتمع المحلي، وغيره من الجماعات الاجتماعية، أما الأشخاص الذين لا تحكمهم معايير الجماعة،

---

(١) عبد العال، سيد (١٩٨٨). **علم النفس الاجتماعي**. القاهرة: مكتبة عين شمس، ص ١٣٥.

ويتعرضون للاستهجان والتجنب والنبذ وغيرها من الاستجابات التي تظهر عدم تقبل الجماعة المرجعية لسلوك العنف، تحكمهم أساليب الضبط الرسمية التي تتمثل في: الشرطة والسجون والقضاء والمحاكم ومؤسسات العلاج النفسي والعقلي والرعاية الاجتماعية، وذلك بقصد الحد من سلوك العنف الانحرافي والحيلولة دون الخروج على المعايير الاجتماعية.

وتستخدم هذه النظرية من قبل الأخصائيين الاجتماعيين التي ترى أن العنف ما هو إلا غريزة إنسانية داخلية فيظهر العنف عندما يفشل المجتمع في ضبط أفراده وإحكام السيطرة والهيمنة عليهم، فيرى أنصار هذه النظرية أن خط الدفاع الأول للمجتمع تلك المجموعات التي لا تشجع سلوك العنف، أما أولئك الذين لا يسيطر عليهم من قبل أسرهم أو الجماعات الأولية فيتم ضبطهم والسيطرة عليهم عن طريق جبرية القانون والشرطة .. فعندما يفشلان في إحكام السيطرة يظهر سلوك العنف. وعلى أية حال فإن هذه النظرية مثل النظرية الفرويدية ولكن الاختلاف الجوهري هو أن العنف من وجهة نظر هذه النظرية يتم ضبطه عن طريق المجتمع من أي آلية أخرى للفرد .

وتدور نظرية الضبط الاجتماعي حول افتراض مؤداه أن الدافع للانحراف شيء طبيعي يوجد لدى جميع الأفراد، كما تذهب إلى أن الطاعة والامتثال هي الشيء الذي يجب أن يتعلمه الفرد، وهناك ثلاثة أنماط من الضبط على النحو التالي:

أ- الضبط المباشر:

وهو أسلوب ظاهري، يشير إلى الضوابط التي توضع أمام الفرد، مثل القوانين الرسمية التي تحرم أنواعا معينة من السلوك، أو صور للعقاب المختلفة.

ب- الضبط غير المباشر:

وهو يركز أساساً على الارتباط العاطفي بالوالدين، وبأشخاص محافظين.

ج- الضبط الذاتي:

وهو يشير إلى الشعور الذي يكون لدى الفرد، والذي يعمل على توجيه سلوكه، فعندما تندمج القواعد والقوانين في نفس الفرد تصبح جزءا منه، وبذلك يطيع

القانون ليس لأن انتهاكه غير شرعي، ولكن لأن القانون هو الشيء الصحيح الذي يجب أن يتمسك به[1].

باختصار، فإن نظرية الضبط الاجتماعي، تنظر إلى الطبيعة البشرية من خلال وجهة النظر التي تفترض أن الانحراف أمر طبيعي وسوي، فمن خلال وجود نظام أخلاقي قائم، وإطار مرجعي تقليدي في المجتمع، تجد نظرية الضبط الاجتماعي مؤسسات اجتماعية تزيد من قوة الرابطة التي تربط الأفراد بالنظام الأخلاقي كما أنها تضعف أيضاً وتسمح هذه الرابطة الضعيفة بصورة آلية – بحدوث درجة أكبر من الانحراف[2].

ويؤكد أصحاب نظرية الضبط الاجتماعي إلى أن خط الدفاع الاجتماعي الأول بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي لا تشجع على العنف، وترفضه، لأنه سلوك غير مقبول ومستهجن اجتماعيا[3].

[٢] نظرية الثقافة الفرعية:

أن الباحثين الذين يتبنون هذه التفسيرات الخاصة بالثقافة الفرعية يميلون إلى أن قيم واتجاهات شباب الطبقة الدنيا تختلف عن مفهوم قيم الطبقة المتوسطة، فالشباب الذين يعانون من الفقر والمشكلات الاجتماعية والجريمة يتبنى قيما واتجاهات مختلفة، وحيث تكون الجريمة والعنف شائعة أكثر تكون اتجاهات الشخص ضد القانون وقوة ردعه، كما ينظر للسلوك العنيف بأنه عادي وجزء مقبول من الحياة، وينظر لانتهاكات القانون مثل السرقة والاتجار بالمخدرات

---

(1) صالح، حسام جابر أحمد (١٩٩٧). **مؤسسة التنشئة الاجتماعية ومشكلة العنف بين الشباب: دراسة ميدانية**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، بني سويف، جامعة القاهرة، ص ص ٣٦-٣٧.

(2) السمري، عدلي (١٩٩٤). **السلوك الإجرامي: النظريات**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص ٢٦٠.

(3) سلام، محمد توفيق (٢٠٠٠). **العنف لدى طلبة المدارس الثانوية في مصر**. القاهرة: المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، ص ١٣.

والدعارة من البعض على أنها أسلوب للتغلب على البطالة والفقر؛ وتفضل التهديدات والهجمات الجسمية على المفاوضات الكلامية كوسيلة لحل النزعات[1].

وتكشف هذه النظرية عن أن الاتجاهات نحو العنف تختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع، وتتميز الثقافة الفرعية للعنف بأن لها اتجاهات إيجابية نحو العنف وإن هذه الاتجاهات تشجع على ظهور سلوك العنف في كثير من الأحيان. كما يفضل الأعضاء الذين ينتمون لهذه الثقافة الفرعية أسلوب الخشونة، كما يشجعون السلوك العدواني بين الذكور.

ويتضح مما سبق أن الثقافة الفرعية للعنف تعتبر جزءا من الثقافة العامة السائدة في المجتمع، كما أنه ليس من الضروري أن يعبر أعضاء الثقافة الفرعية عن العنف في جميع المواقف، كما نجد أن إمكانية اللجوء إلى العنف في مواقف متنوعة تعتمد على مدى شدة وانتشار سمة الثقافة الفرعية للعنف، كما يتضح أن روح جماعة الثقافة الفرعية للعنف تزداد وضوحا في فئة عمرية محددة تتراوح من المراهقة المتأخرة إلى منتصف العمر، ونجد أن سلوك العنف داخل إطار الثقافة الفرعية يعد سلوكا متعلما ومقبول اجتماعيا[2].

وقد تعرضت نظرية الثقافة الفرعية للعنف لعدة انتقادات لعل من أهمها أن فكرة عنف الذكورة ليس بنمط واحد لدى أفراد المجتمع، ويؤكدون على أن أولئك الذين يلجئون للعنف ليس بالضرورة أن يكونوا كذلك أي عدوانيين ولكن الموقف نفسه يحتم عليهم ذلك السلوك.

[٣] نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى أصحاب هذه النظرية أن العنف سلوك متعلم أو سلوك يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي.

---

(1) Lawrence, R. (1998). **School Crime and Juvenile Justice**. New York: Oxford University Press, p. 47.

(2) صالح، حسام جابر أحمد: **مرجع سابق**، ص ص ٣٥-٣٦.

فالناس يتعلمون سلوك العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نمط آخر من أنماط السلوك الاجتماعي وهناك كثير من الأدلة التي تؤكد على أن سلوك العنف يتم تعلمه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة للتنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وغيرها[1].

وهناك علاقة بين العنف وحل المشكلات؛ فقد يلجأ الفرد أحياناً إلى العنف كأسلوب لحل المشكلات، ويتم ذلك بناء على خطوات للتعليم تبدأ بنقد الآخرين واتخاذ موقف منهم، ثم تطوير أساليب للتصنيف لأبعاد الآخرين، ثم أخيراً محاولة خلع الطابع الإنساني والشرعي على أفعال العنف الموجه نحو الآخرين، ويعني ذلك أن السلوك العنيف هو سلوك يمكن تعلمه مثل كل أشكال السلوك الأخرى[2].

وتفيد هذه النظرية في إلقاء الضوء على بعض العوامل المرتبطة بالسلوك العدواني أو العنيف، ويعرّف التعلم بأنه متغير دائم نسبيا في السلوك يحدث نتيجة الخبرة، وهو يحدث داخل الكائن الحي، لا يمكن ملاحظته بصورة مباشرة وبتطبيق هذا المفهوم على الكائن البشري يصبح التعلم عملية مصاحبة للمتغيرات التي يخبرها الكائن البشري منذ الطفولة وعبر مراحل حياته المختلفة، وتظهر نتائج التعلم في ألوان النشاط التي يقوم بها الإنسان، وفيما ينجزه من أعمال.

وتستفيد دراسات العنف والعدوان من هذا المفهوم للتعلم في القاء الضوء على بعض العوامل المرتبطة بحدوث السلوك الضار للمجتمع بصفة عامة، وسلوك العنف بصفة خاصة. فأوضحت الدراسات التي أجراها كل من باندورا Baundura، ووالترز Walters عن تشجيع السلوك العنيف الذي يقوم به الأطفال من قبل الآباء والأمهات، يؤدي إلى تدعيم سلوك العنف لديهم. كما ذكرت دراسات

---

(1) سلام، محمد توفيق (٢٠٠٠). **مرجع سبق ذكره**، ص ١١.

(2) نصر، سميحة (١٩٩٦). **العنف والمشقة: الاستهداف للعنف والتعرض لأحداث الحياة – المشقة**. القاهرة: المركز المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية، ص ٤٩.

سكنر Skinner أن السلوك العنيف الذي يحدث أذى ويؤدي إلى استجابة الخوف أو الهرب، يرتبط بتعزيز الاستجابة العدوانية العنيفة (زايد، ٢٠٠٢: ٤٥-٤٧)[١].

وترى حلمي (١٩٩٩: ٣٢)[٢] أن هذه النظرية هي الأكثر شيوعا، حيث تفترض أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم هذه تتم داخل الأسرة سواء في الثقافة الفرعية أو في الثقافة ككل، فبعض الآباء يشجعون أبنائهم على التصرف بعنف مع الآخرين في مواقف أخرى، والبعض الآخر ينظر للعنف وكأنها الطريقة الوحيدة للحصول على ما يريدون، بل إن بعض الآباء يشجعون الابن الصبي على التصرف بعنف عند الضرورة، وتفيد بعض البحوث أن استخدام العقاب البدني رغم أنه قد يكون استجابة للتعبير عن رفض العنف الذي يمارسه الأطفال إلا أنه من ناحية أخرى يشجع السلوك العنيف بين الأطفال.

ويرى أيكين Aiken (١٩٨٩: ٢٩)[٣] أن العدوان والخوف والجنس أنواع سلوكية وانفعالات أخرى كثيرة، وأسلوب ردود الأفعال وفقا لأراء باندورا Bandura تتعلم عن طريق الملاحظة والمحاكاة.

ومن ثم يرى باندورا Bandura (١٩٦٣) أن هناك أشخاص مهمين في حياة الطفل مثل الوالدين والمدرسين والرفاق، يمكن اعتبارهم نماذج يستقي منها الطفل سلوكه الاجتماعي بصفة عامة وسلوكه العدواني بصفة خاصة. وهكذا نجد أن مثل هذه النماذج التي يراها الطفل هي التي تعلمه كيف ومتى يتصرف بشكل عدواني أو متى يجب عليه أن يظهر التحكم والسيطرة على نفسه، وهؤلاء هم أيضاً الذين

---

(1) زايد، أحمد (٢٠٠٢). **قراءات في أدبيات العنف: رؤية سوسيولوجية. المؤتمر** السنوي الرابع، الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري. القاهرة: المركز المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية.

(2) حلمي، إجلال إسماعيل (١٩٩٩). **العنف الأسري**. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

(3) Akien, L.R. (1989). **Assessment of Personality.** New York: Allyn and Bacon.

يزيدون ويدعمون السلوك عند الطفل أو يكتسبونه عن طريق عدم تشجيعه، أو حتى عقابه (حسن، وشند، ٢٠٠٠)[١].

كما أكدت دراسات بوس Buss أن العدوان يرتبط بنمط آخر من التعزيز ناتج عما يحصل عليه الشخص القائم بالسلوك العدواني من إشباع ذاتي، الأمر الذي دفعه إلى طرح نظريته المعروفة بنظرية الباعث، والذي تربط بين السلوك العدواني والإشباع الذي يحققه بالحصول على مكاسب مادية أو خطوة اجتماعية أو مكانة اجتماعية (زايد، ٢٠٠٢: ٤٥-٤٧)[٢].

ويشير علي (١٩٩٥: ٢٨٧)[٣] إلى أن العدوان سلوك اجتماعي يتعلم كغيره من أنواع السلوك الأخرى لأصحاب هذا الاتجاه، وعلى رأسهم باندورا Bandura فإن الإنسان ينخرط في السلوك العدواني تجاه الآخرين نتيجة لعدة أسباب، منها:

١- أنه اكتسب الاستجابات العدوانية خلال خبراته السابقة.
٢- أنه استقبل أو توقع أشكال عديدة من الإثابة لهذا السلوك.
٣- أنه تم تحريضه بشكل مباشر بالسلوك العدواني نتيجة العديد من الأسباب الاجتماعية ، أو البيئة الاجتماعية.

ويرى بريهم وكاسين (Brehm and Kassin, 1993: 355)[٤] أن نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning Theory، تؤكد على أن التعلم لا يتطلب خبرة مباشرة بالثواب والعقاب Rewards and Punishments. وفي الدراسات المبكرة التي أجراها باندورا Bandura ارتبط السلوك الملاحظ لإحباط الأطفال الذين شاهدوا من قبل الكبار يلعبون الكرة ويلقونها ويدفعونها ويضربونها بأقدامهم أو

---

(1) حسن، محمد بيومي، و شند، سميرة محمد (٢٠٠٠). **دراسات معاصرة في سيكولوجية الطفولة والمراهقة**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
(2) زايد، أحمد (٢٠٠٢). مرجع سابق.
(3) علي، سامي عبد القوي (١٩٩٥). **علم النفس الفسيولوجي**. الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
(4) Brehm, S.S. and Kassin, S.M. (1993). **Social Psychology.** New York: Houghton Mifflin Company.

يضربون دمية Doll، فهؤلاء الأطفال يكونون أكثر عدوانية عندما يلعبون فيما بعد بالدمية من هؤلاء الأطفال الذين يشاهدون الكبار هادئين.

وفي هذا الصدد تذكر هايس (Hayes, 1994: 250)[1] أن كل من باندورا، ووالترز Bandura, and Walters أوضحا كيف أن الأطفال يمكن أن يخترقوا أنماط السلوك العدواني الذي يلاحظونه.

ووفقا لنظرية التعلم الاجتماعي، فإن أسباب العدوان تنشأ من ثلاثة نماذج مؤثرة، وهي: الأسرة Family – الثقافة الفرعية Subculture – والنموذج الرمزي Symebolic Modeling.

وتأثير النموذج الأسري يتعدد بثلاث أنواع من التأثيرات، وهي:

١- تأكيد القوة Power Assertion

٢- انسحاب الحب Love Withdrawal

٣- الاستقراء Inductions

فالوالدين يمكنهم تأكيد القوة بواسطة عقاب الأطفال بدنيا أو حرمانهم من الامتيازات أو الموضوعات المادية أو تجاهلهم أو عزل الأطفال ينشئ انسحاب الحب والتفكير مع الأطفال لتشجيعهم لكي يعبروا عن سلوكهم يمثل استقراء كيفما أمكن، ويجب على المدرسين أن يستخدموا النوع الثالث من التأثير (الاستقراء) وانسحاب الحب يمكن أن يكون له تأثير ضار على النمو النفسي للشباب مع كبار السن، ويمكن أن يستخدم المدرسين أي الطرق لدفع السلوك العدواني حتى لو كان العدوان مرغوب في بعض المواقف (Liewellym, and Blucker, 1982: 981)[2].

---

(1) Hayes, N.(1994). **Foundations of Psychology: An Introductory Text.** New York: Rantledge.

(2) Leiwellym, J.H. and Blucker, J.A. (1982). **Psychology of Coaching: Theory and Application.** New York: Burgess Publishing Company.

[٤] نظرية التفكك الاجتماعي والجريمة:

اعتبر بعض المتخصصين في علم الاجتماع التفكك الاجتماعي هو السبب الرئيس للسلوك الإجرامي، والجريمة تمتد جذورها إلى التنظيم الاجتماعي وهي تعبير عن هذا التنظيم؛ فالجماعة قد يكون تنظيمها لمعارضة ومواجهة هذا النوع من السلوك.

كما يرى بعض الباحثين أن عوامل التغير السكاني والظروف السكنية والفقر والمواليد والمرض وجرائم البالغين والاضطرابات العقلية كل هذه العوامل ترتبط ارتباطا عاليا بالجريمة، كما أنها ترتبط فيما بينها ارتباطا عاليا وهذه العوامل كلها ما هي إلا مظاهر لعامل أساسي عام هو التفكك الاجتماعي أو قصور جهد المجتمع المحلي لمواجهة هذه المشكلات؛ كما يرى شو وزملاؤه أنه في ظل الظروف القائمة في الأحياء المتخلفة يصبح المجتمع مفككا، وتضعف رقابته على أعضائه، بحيث لا يخضعون للمعايير الاجتماعية المقررة ومن ثم ينعدم تكامل النظم الاجتماعية. ويرى شو أنه تحت هذه الظروف تصبح الأنماط الجانحة شائعة وتنتقل في حرية، حتى تصبح في الواقع الثقافة السائدة في مناطق يرتفع فيها؛ وهنا يتعلم الصغار الذين ينشأون في مثل هذه المناطق الأنماط الجانحة على أنها الطريقة الطبيعية للسلوك[1].

ويؤدي التفكك الأسري في بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لانحراف أفراد الأسرة، خصوصا الأولاد من البنين والبنات، فعندما تتفكك الأسرة ويتشتت شملها، ينتج عن ذلك شعور لدى أفرادها بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجهة المشكلات، وتحوله للبحث عن أيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة في الوصول للهدف، فيصبح المذهب الميكافيللي هو الموجه لسلوك الفرد. وفي هذا تغييب للضمير والالتزام بالمعايير والنظم الاجتماعية السائدة التي توجه سلوك الأفراد نحو الطرق المقبولة لتحقيق

---

(1) عارف، محمد (١٩٩٠). **الجريمة في المجتمع: نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي**، الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص ص ٤٢٨-٤٣٣.

الأهداف بصورة مشروعة والشاهد على ذلك هم الأحداث من الذكور والإناث في دور الملاحظة الذين ينحرفون ويقعون في سلوك إجرامي نتيجة لتفكك أسرهم[1].

[٥] النظرية البيئية في تفسير العنف:

تعتبر البيئة العائلية أهم بيئة في حياة الفرد، أو هي أول ما يفتح عليه عينيه ليقضي فيها السنوات الأولى من حياته وهذه السنوات لها أثر كبير في تكيف شخصيته، وإلى جانب البيئة العائلية في الأهمية توجد البيئات الخارجية التي يغشاها الإنسان، وتؤثر في شخصيته أيضاً كالمدرسة والشارع والمصنع والمكتب والنادي والمقهى وغيرها مما يصعب حصره[2].

كما أن نقص التفاهم والشعور بالدفء بين الوالدين (داخل الأسرة، استخدام العنف البدني، نقص التوجيه السلوكي السليم، وتوجيه أنشطة الطفل، وزيادة الحماية الوالدية وزيادة نسبة عنف التلفاز بنسبة ٨٥%) كلها تؤدي إلى السلوك العنيف للطفل منذ السنوات الأولى[3].

فالعنف سلوك متعلم ويقوى داخل نطاق الأسرة في ظل ظروف والديه غير ملائمة، حيث إن الوالدين يسيئان تعليم الأطفال ويحاولان إقناع الأطفال بأن العنف والعدوان له نتائج فعالة للسيطرة على الآخرين والحصول على ما يريدون، ولذلك ينتقل السلوك العدواني من الآباء إلى الأبناء ثم ينتج لنا دائرة العنف.

فمثلا الأسرة إذا كانت فقيرة سيئة في أحوالها المعيشية والسكنية قد تجعل ولدها يشعر بعجز عن مجاراة رفقائه في المدرسة في شراء ما يحتاجه من الملابس والأدوات وفي الاشتراك في الأنشطة المدرسية التي تنظمها المدرسة لتلاميذها في مقابل اشتراكات بسيطة يدفعونها. وبالنسبة لسوء الأحوال السكنية بالذات لأسرة

---

(1) الجابر، أمينة وآخرون (٢٠٠١). **"التفكك الأسري الأسباب .. والحلول المقترحة"**، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، العدد ٨٣، جمادي الأولى ١٤٢٢هـ، السنة الحادية والعشرون، ص ص ٩٠-٩١.

(2) عبده، سمير (١٩٨٩). **التحليل النفسي للجريمة**. دمشق: دار الكتاب العربي، ص ٣٧.

(3) Smith, P. (1999). **The Nature of School Bullying: A Cross - National Perspectives.** New York: Longman, pp. 8-9.

التلميذ قد يجعله يشعر بالنقص والضآلة أمام زملائه الذين يأتون من مساكن لائقة[1].

كما يفرز التغير الاجتماعي السريع معطيات عديدة منها عدم قدرة الفرد على التكيف مع الحالة الجديدة، مما يؤدي إلى خلل وتفكك اجتماعي يعكس آثاره على سلوك الفرد والمعايير التي تحتكم إليها في تنشيط أفعاله؛ وهكذا فإننا نعتقد أن التغير الاجتماعي من أهم العوامل في تهيئة الظروف الموضوعية لانحراف الأحداث[2].

[٦] النظرية الوظيفية:

تهتم النظرية الوظيفية بالطرق التي تحافظ بها على توازن عناصر البناء الاجتماعي وأنماط السلوك والتكامل والثبات النسبي للمجتمع أو الجماعات الاجتماعية، وعلى هذا الأساس ينظر الوظيفيون للعنف على أن له دلالة داخل السياق الاجتماعي فهو إما أن يكون نتاج لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك، أو أنه نتيجة اللامعيارية وفقدان التوجيه والضبط الاجتماعي الصحيح وبذلك يجرفهم التيار إلى العنف، ومن ناحية أخرى قد يكون الأفراد عدوانيين فيسلكون طريقهم بعنف، لأنهم لا يعرفون طريقة أخرى للحياة غير ذلك، وهكذا فإن معظم السلوك الذي نسميه سلوكا منحرفا يعكس القيم الاجتماعية للمجتمع الذي يحدث فيه، أو الذي يتضمن على الأقل تأثيراً للخروج على ما تعارف عليه هذا المجتمع من مقاييس سلوكية. وعليه، فإن العنف يعتبر نتاج لظروف اجتماعية تتمثل في الأوضاع العائلية وظروف العمل وضغوطه، وحالات البطالة، والتفرقة بأشكالها المختلفة وغير ذلك من عوامل اجتماعية واقتصادية.

---

(1) الشيباني، عمر محمد التومي (١٩٨٢). **من أسس التربية الإسلامية**. الطبعة الثانية، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ص ٤٢٥.

(2) الأخرس، محمد صفوح (١٩٨٣). **العوامل المؤدية لانحراف الأحداث في الوطن العربي**. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الجزء الخامس، بحث مقدم في ندوة "النظريات الحديثة في تفسير السلوك الإجرامي" والتي عقدت في الفترة ١٩-٢١ ذي الحجة ١٤٠٣هـ الموافق ٢٦-٢٨ سبتمبر، ص ٤٢.

[٧] النظرية الطبيعية في تفسير ظاهرة العنف:

يذهب أنصار هذه النظرية إلى وجود صلة مباشرة بين تغيرات درجة الحرارة وجرائم العنف. ذلك أن ارتفاع الحرارة يزيد من حيوية أجهزة الإنسان وحدة طبعه، كما يؤثر على القوى الجنسية، وتتحكم العاطفة في الفرد، وبالتالي تزداد نسبة جرائم العنف وجرائم الآداب ويضيف العالم فيري الإيطالي أن ارتفاع درجة الحرارة ينقص من احتياج الجسم إلى الحرارة اللازمة لبقائه، وبهذا تفيض عن حاجة الإنسان القوى والطاقة التي تنتجها الأجهزة الداخلية هي التي يمكن أن تدفع الفرد بسهولة إلى أعمال القوة والعنف[١]. كما أوضحت دراسة المليجي (١٩٧٣)[٢] أن فصول السنة التي يكثر فيها انحراف الطلبة غالبا فصل الصيف.

كذلك فإن ارتفاع نسبة جرائم الاعتداء على الأموال في فصل الشتاء، فنجد تفسيرها في الليالي الطويلة التي تميز هذا الفصل، ومن جهة أخرى، فإن فصل الصيف عامل مهيئ هام لتزايد جرائم الاعتداء على الأشخاص. ففي هذا الفصل يغلب الاتصال بين الناس في الأماكن المفتوحة المزدحمة، وتزداد فرص الاختلاط بين الأفراد وتطول فترات لقاءاتهم، وبالتالي تتهيأ دوما ظروف متزايدة للتضارب بين الرغبات والمصالح، ومن ثم للاحتكاك والتشاجر وما قد يصحب ذلك من صور مختلفة لجرائم العنف[٣].

[٨] نظرية الصراع:

يرى أصحاب نظرية الصراع أن العنف نتاج للقهر الذي يتعرض له الناس، بل إن ضحايا القهر يستخدمون غالبا نفس الأسلحة التي استخدمت ضدهم، وأنهم تحت ضغط الاضطراب والإحباط الذي يعانون منه يحتدون غالبا في وجه أصدقائهم وأهلهم وجيرانهم بدلا من الأشخاص الذين يقهرونهم.

---

(1) علي، يسر نور؛ و عثمان، آمال عبد الرحيم (٢٠٠١). **الوجيز في علمي الإجرام والعقاب**. القاهرة: النهضة العربية، ص ١٤٢.

(2) المليجي، عصام (١٩٧٣). جرائم الطلبة: دراسة إحصائية، القاهرة: **المجلة الجنائية**، ص ٤.

(3) علي، يسر نور؛ و عثمان، آمال عبد الرحيم: **مرجع سابق**، ص ١٤٣.

ومن ناحية أخرى يرى أصحاب نظرية الصراع أن العنف سلاح قوي في الحرب بين الجنسين، فالعنف يعد دائماً أحد الوسائل الأساسية لغرض سيطرة الرجل، لذلك أصبح العنف أداة متزايدة لمحاصرة النساء والعودة بهن إلى الأسرة والمنزل. كما أصبح الرجل يستخدم أساليب متنوعة من العنف (الاغتصاب، القسوة البدنية) لكي يحط من قدر المرأة التي أصبحت تتحدى شعوره بالتفوق عليه، أو لغيظ المرأة بوجه عام.

وإذا كانت نظرية الصراع تركز على صراع الأدوار، فإنها تركز أيضاً على الشعور الشخصي بالحرمان بين ما يرغب فيه الناس وما يحصلون عليه، وبين انخفاض المستوى الاقتصادي مع توافر الحرمان النسبي، مما يزيد من النزوع نحو العنف والعدوان.

وأياً كانت درجة الحرمان فإنه يخلق حالة من عدم الرضا لدى الأفراد، مما يدفعهم إلى سلوك العنف نتيجة للإحساس بالظلم الاجتماعي وانعدام العدالة الاجتماعية وسيطرة القيم المادية.

[٩] النظرية الاقتصادية في تفسير الجريمة:

إن العلاقة القائمة بين الأحوال الاقتصادية والجريمة مرجعها أن الفرد الذي يعيش في مجتمع يخضع لتعاليمه وأوامره ويكبح في سبيل ذلك نزعاته ونزواته ، إنما يرضى بذلك في مقابل أن يوفر له هذا المجتمع حاجاته التي تحفظ عليه حياته وتيسر له سبل العيش، فإذا ما أخل المجتمع بهذا الواجب فقد يرى الفرد أنه في حل من التزاماته ومن ثم يمضي في سبيل الجريمة[1].

وقد بدأ الاهتمام بالعامل الاقتصادي ودوره في السلوك الإنساني منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبعض هذه الدراسات تناولت السلوك الإجرامي ومنها دراسة لاكاسان وهي من أهم الدراسات التي تناولت العلاقة بين اختلاف المواسم والفصول وبين تفاوت حجم الجرائم وذكر أن أعلى نسبة للجرائم تكون خلال ستة أشهر من السنة، دون باقي أشهر السنة وذلك لوجود بعض الظروف الاقتصادية في هذه الأشهر كانتشار البطالة وزيادة الطلب على سلع معينة دون غيرها في هذا التوقيت

(1) عبده، سمير: **مرجع سابق**، ص ٣٠.

من السنة[1].

كما أن الأوضاع السيئة كالفاقة والمسكن الوضيع والمسكن المزدحم ونقص التعليم وعدم تكافؤ الفرص أوضاع تؤدي إلى حرمان الأفراد من فرص إشباع حاجاتهم الأساسية وتهيئتهم للوقوع في الجريمة[2].

لأن الطفل عندما ينشأ فلا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء، ولا يجد من يعطيه ما يستعين به على لقمة العيش وأسباب الحياة، ويتطلع حوله فلا يجد غير الفقر والحرمان والجهد فإن من المؤكد أنه سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثا عن الأسباب وسعيا وراء الرزق، فتتلقفه أيدي السوء وخبراء الجريمة وتحيط به هالة الشر والانحراف، فينشأ في المجتمع منحرفا خطيرا على الأنفس والأموال والأعراض[3].

كذلك انتشار البطالة في المجتمع من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف حيث إن رب الأسرة إذا لم يجد عملا يكسب منه قوته وقوت عياله يكفيهم مطالبهم الضرورية فإن الأبناء سيضطرون مع هذه الظروف القاسية إلى الانحراف والحصول على المال من طرق غير مشروعة والأدهى من ذلك أن الأب نفسه يمكن أن يضطر إلى الحصول على المال من طرق غير مشروعة كالسرقة والرشوة والسطو على المنازل والاغتصاب، وغير ذلك من الأعمال الإجرامية التي تؤدي إلى الانحراف وفساد المجتمع[4].

---

(1) موسى، فؤاد سيد (١٩٨٩). **الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الأحداث: المنحرفين والمعرضين للانحراف**، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ص ٨٢.

(2) خليفة، أحمد محمد (١٩٦٣). **مقدمة في السلوك الإجرامي**، القاهرة: دار المعارف، ص ١٥٣.

(3) عبد العزيز، مرفت إبراهيم (١٩٧٧). **انحراف الشباب: المشكلة والعلاج في الإسلام**. القاهرة: الناشر مكتبة العلم والإيمان، ص ٢٠٧.

(4) **المرجع السابق**، ص ٤٢.

ولقد تأكد في كثير من البحوث أن هناك علاقة وثيقة بين تفكك البناء الأسري وقصور الأسرة في أداء وظائفها والعوامل الاقتصادية، كما تأكد أيضاً أن جميع النظم الاجتماعية تتأثر وظائفها بدرجة كبيرة بالعوامل الاقتصادية ولذلك يمكن القول بأن العوامل الاقتصادية هي سبب للكثير من المشكلات التي يعانيها الإنسان والتي تنعكس بدورها على الأسرة وتؤدي إلى كثير من مشكلات سوء التكيف الاجتماعي(١).

وتؤكد لنا نظرية الحلقات المفرغة أن الفقر قد يكون سببا ونتيجة لمجموعة من العوامل والقوى التي ترتبط ببعضها ارتباطا دائريا يؤدي إلى استمرار حالة التخلف، حيث إن كل عامل يؤدي إلى عامل آخر وهكذا؛ بحيث تنتهي آخر العوامل بالتسليم والعودة إلى العامل الأول المسبب لهذه الظاهرة فمثلا: إذا ما اعتبرنا الفقر هو سبب التخلف، فإن الفقر يعني انخفاض مستوى الدخل الذي يؤدي بدوره إلى انخفاض مستوى التغذية وهو ما يؤدي إلى انخفاض مستوى الصحة فيؤثر في إنتاجية العمل بالانخفاض، فيؤدي أخيرا إلى انخفاض مستوى الدخل ومن ثم شيوع الفقر وهكذا بدأت الحلقة المفرغة بالفقر كسبب للتخلف وانتهت بالفقر كنتيجة لهذا التخلف(٢).

[١٠] النظرية التفاعلية:

يرى أصحاب النظرية التفاعلية أن العنف نتاج لعملية التعلم الاجتماعي فمع التنشئة الاجتماعية المبكرة يتعلم الأطفال العنف سواء من الآباء أو الأقارب أو الأصدقاء. وبملاحظتهم للعالم وللحياة الاجتماعية من حولهم يبدو العنف لهم وكأنه أداة ضرورية للبقاء والنجاح، فالأفراد إذن يتعلمون العنف، بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نوع آخر من أنواع السلوك، فالعنف يتم تعلمه داخل المنزل.

---

(1) **عباري**، محمد سلامة محمد (١٩٧٧). **الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص ص ٥٨-٥٩.

(2) **الخضري**، سعيد (١٩٩٩). **اقتصاديات التنمية والتطوير**، بورسعيد: مكتبة الجلاء، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.

ويلاحظ التفاعليون أن عملية تعلم العنف ترتبط بشدة بمرحلة التنشئة الاجتماعية لدور الرجل Male sex role socialization والذي يتضمن تعليم الصبية الخشونة والصلابة، وأن يعتمدوا على أنفسهم. وتعتبر هذه النظرية من أكثر النظريات قبولا حيث أنها تفترض أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى. وأن عملية التعلم هذه تتم داخل الأسرة سواء في الثقافة الفرعية أو في الثقافة ككل. فبعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف، ويطالبونهم بألا يكونوا ضحايا للعنف في مواقف أخرى؛ والبعض الآخر ينظر للعنف وكأنه الطريقة الوحيدة للحصول على ما يريدون، بل إن بعض الآباء يشجعون الابن الصبي على التصرف بعنف عند الضرورة.

ومن ناحية أخرى تفيد البحوث أن استخدام العقاب البدني رغم أنه قد يكون استجابة للتعبير عن رفض العنف الذي يمارسه الأطفال، إلا أنه من ناحية أخرى يشجع سلوك العنف بين الأطفال.

وقد أظهرت أيضاً العديد من الدراسات أن الأفراد الذين يعيشون في أسر يسودها العنف أكثر قابلية لأن يكونوا هم أنفسهم عدوانيين في تصرفاتهم. وقد وجد ستروس Straus (١٩٨٧)[1] وزملاؤه أن الأزواج الذين يشبون في أسر يسودها العنف يكون احتمال ضربهم لزوجاتهم عشر أضعاف الرجال الذين يشبون في أسر لا يسودها العنف. يتضح من ذلك أن الأطفال يتأثرون أكثر بالسلوك العدواني للآباء والأمهات، ويكتسبون العنف أكثر من تأثرهم بالنصائح التي توجه إليهم بعدم ممارسة العنف مع الآخرين.

وكلما كان الأطفال ضحايا للعنف – سواء من جانب الآباء أو من الآخرين – كلما كانوا أكثر عنفاً. وقد انتهت نتائج بعض البحوث بين بعض القتلة وبين إخوانهم الأسوياء إلى أن الفئة الأولى كانت تتعرض للعنف

(1) Straus, M. (1987). Measuring Interfamily Conflict and Violence. **Journal of Marriage and the Family**, 41, 75-88.

والضرب من الآباء والأمهات أكثر من إخوانهم، كما أظهرت العديد من الدراسات أن الأطفال الذين يتعرضون للإساءة Abused يكونون أكثر ميلاً لأن يصبحوا أطفالاً يسيئون للآخرين Child abusers.

ثالثاً: الاتجاه البيولوجي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن هرمون الذكورة "الأندروجين" هو السبب المباشر لوقوع العنف بدرجات كبيرة بين الرجال وأن هذا الهرمون يفرز نسبة عالية أوقات النهار مما يزيد من حدة الغضب لدى الشباب وينمي مشاعر الانفعال وينخفض إفرازه في المساء، ولقد أيدت هذه النظرية بعض التجارب المعملية على الحيوانات ولكن بعض الآراء رفضت تفسير عنف السيدات بناء على هذا الاتجاه واعتبروه أمرا غير مقبول[1]. ويمكن استعراض عدة نظريات في هذا الاتجاه مثل: النظرية البيولوجية، والنظرية الوضعية، والنظرية الوراثية، وفيما يلي توضيح ذلك:

[١] النظرية البيولوجية:

أثبت الباحثون على مر القرون، أن العنف البشري غريزة فطرية، ولقد عمم كل من الباحثين كونارد وآندري هذا المفهوم، حيث يريان أن الغريزة العدوانية غريزة فطرية في الجنس البشري مثله في ذلك مثل سائر الحيوانات الأخرى، حيث أكد آندري أن غريزة حب التملك والعدوان فطرية في الجنس البشري مما يفسر انتشار العداء والبغض بين البشر بعضهم البعض، وتتدرج فكرة "الارتقاء والتطور" وراء هذه النظرية، حيث يرى بعض الباحثين أن الكائنات الحية مثل الحيوان والإنسان تستمر في البقاء والحياة بسبب هذه الغريزة العدوانية، حيث أن الحيوانات العدوانية تحيا وتتوالد وتحافظ على نوعها، بينما الأقل عدوانا تنقرض، ولقد أكد لورنز أن كلا من العنف والعدوان في غاية الأهمية من أجل البقاء والحياة.

فهذه الحيوانات العدوانية لديها القدرة على الاستحواذ وهذا يساعدها في الحصول على الطعام اللازم لها، ومن هنا تستطيع إنشاء نظام السيطرة والهيمنة

---

(1) مليكة، لويس كامل (١٩٨٧). **علم النفس الإكلينيكي**، الجزء الأول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٩٧.

فيما بينها ويساعدها على الاستقرار والبقاء بين المجموعات المختلفة من الحيوانات، وقد قرر "لورنز" أن العدوان والقوة يساعدان في توطيد وتأكيد العلاقة المستمرة بين الذكر ومجموعات الإناث، حيث يفرض نفوذه بقوته على غيره من الذكور. ولقد تعرضت هذه النظرية لعدة انتقادات من أهمها: حقيقة أن الحيوانات لديها غريزة فطرية عدوانية استحواذية ولكن من الصعب إثبات ذلك بالنسبة للجنس البشري، فمن الواضح أن سلوك الإنسان يختلف بكثير عن سائر الحيوانات. وجملة القول أن النظرية الفطرية للعنف بنيت على أسس ضعيفة بمعنى ليس لدينا دليل قوي على أن غريزة العدوان فطرية في الجنس البشري.

[٢] النظرية الوراثية:

يرى علماء الوراثة أن هناك صفات أساسية في الفرد تأتيه من أبويه وأسلافه عن طريق الوراثة، فينتقل السلوك الجانح عن طريق الوراثة[1].

فالأطفال كما يشبهون آباءهم من الناحية الجسمية والعقلية فإنهم يشبهونهم سلوكيا وعاطفيا، وهناك قول قديم بأن "وصمة الإجرام تجري في عائلات معينة"، وتأكد ذلك بدراسة التاريخ العائلي لمضطربي السلوك ودراسة التوائم المتماثلة (أي هي التي تتكون من بويضة واحدة ملقحة) التي كشفت أنه إذا كان الآخر مجرما بنسبة ثلاثة من كل أربعة، بينما في التوائم غير المتماثلة (أي هي التي تتكون من بويضتين منفصلتين ملقحتين) تقل النسبة إلى واحد من كل أربعة[2].

كما ثبت أن الخلية الإنسانية التي يتكون منها الكيان الإنساني تتكون من جزئين هما: النواة والبلازما. وتتكون النواة من مجموعة من الكروموزومات تحمل ما يعرف باسم الجينات أو الصبغيات أو الإمكانيات الوراثية للإنسان[3]. هذه الجينات لها دور مهم في ظاهرة العدوان والسلوك العنيف، رغم أن السلوك

---

(1) الياسين، جعفر عبد الأمير (١٩٨١). **أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث**، بيروت: عالم المعرفة، لبنان، ص ٣٥.

(2) حمودة، محمود (١٩٩١). **الطفولة والمراهقة: المشكلات النفسية والعلاج**، القاهرة: المطبعة الفنية، ص ١٤٣.

(3) عبده، فخر الدين خالد (١٩٨٧). **العلاقات العامة والشرطة في مجال مكافحة الجريمة**، القاهرة: دار الشعب، ص ١٤.

العدواني له صفات معقدة في البحث الجيني.

ويفترض أن المحددات الوراثية وغيرها من المحددات البيولوجية تلعب دورا حاسما في تطور الفرد. ويرى أنه يمكن الحصول على تمثيل هذه العوامل من خلال مجموعة من القياسات قائمة على البنيان الجسمي، فيرى العلماء أن: هناك بناء بيولوجي مفترض "الطراز البنائي" Morphogenotype، يكمن وراء البنيان الجسمي الخارجي الملاحظ "الطراز الظاهري" Phenotype، ويلعب دورا هاما ليس في تحديد النمو الفيزيقي فقط ولكن أيضاً في تشكيل السلوك(١).

ويؤخذ على نظرية الوراثة، على الرغم من التسليم باختلاف درجة التوافق في الإجرام بين التوائم المتماثلة والتوائم غير المتماثلة، فإن هذا الاختلاف لا يصلح دليلا كافيا على وراثية الإجرام، وذلك لأن التماثل الكبير في السلوك الإجرامي بين التوائم المتماثلة قد يرجع إلى عوامل أخرى خلاف الوراثة، كالتماثل في الخبرة والبيئة الاجتماعية(٢).

رابعاً: الاتجاه التكاملي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن عوامل الجنوح عديدة ومتشابكة ويرجع بعضها إلى الفرد نفسه "عوامل بيولوجية ونفسية"، ويرجع البعض الآخر إلى بيئة الفرد التي يعيش فيها، لذا لا يمكن رد السلوك المنحرف إلى عامل واحد، وإنما هو حصيلة عوامل مختلفة متفاعلة بعضها مع بعض سواء كانت عضوية أم نفسية أم بيئية فلا يمكن النظر إلى الفرد بمعزل عن البيئة، ولا يمكن النظر إلى البيئة بمعزل عن الفرد، فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به(٣).

ومما سبق ، يتضح أن اتجاهات دراسة ظاهرة العنف متكاملة وليست متعارضة؛ لأن كل اتجاه يفسر ويحدد عدة عوامل مساعدة لانتشار الظاهرة.

---

(1) خليفة، عبد اللطيف محمد (١٩٩٢). **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، الكويت: عالم المعرفة، عدد ١٦٠، ص ١٠٨.

(2) السمري، عدلي: **مرجع سابق**، ص ٧٥.

(3) الياسين، جعفر عبد الأمير: **مرجع سابق**، ص ص ٤٤-٤٥.

فالاتجاه النفسي يعزي العنف إلى ما يصيب تكوين الشخصية من خطأ في مرحلة الطفولة المبكرة أو نتيجة إحساس البعض بالظلم وعدم العدالة والمساواة في مجتمعهم. أما الاتجاه الاجتماعي فيرى أن سلوك العنف مكتسب من خلال عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق إما بسبب البطالة والمسكن المزدحم والتفكك الأسري والفقر والجهل أو بسبب التغير الاجتماعي، أو مناخ الجو. أما الاتجاه البيولوجي فيفسر العنف على أنه غريزة فطرية في الجنس البشري، أضف إلى ذلك دور الجينات الوراثية. أما الاتجاه التكاملي فيفسر العنف على أنه ينتج بسبب كل ما سبق من عوامل بيولوجية عضوية ونفسية وبيئية "فردية/اجتماعية".